عبد العزيز الرنتيسي.. صقر فلسطين

ما زالت دماء الشهداء رغم مرور السنين تضيء للمجاهدين والمكلومين والحيارى والمظلومين مصابيح الدجي في سراديب الليل المدلهم.

ويحمل شهر أبريل كثيرًا من نسمات الحزن والجراح لفراق كثيرٍ من علماء ومصلحي هذه الأمة، ووقوع كثير من الحوادث التي أزهقت أرواح ونفوس بشرية، مثل مجزرة دير ياسين، ومعركة القسطل، ورحيل الشاعر محمد إقبال، والشهيد عبد القادر الحسيني، والمجاهد محمد محمود الزبيري، والسفير عمر بهاء الدين الأميري، والشهيد عبد العزيز الرنتيسي، وبطل حرب ١٩٤٨ والقنال أبو الفتوح عفيفي، والشاعر عبد الرحمن بارود، والمربي عبد العزيز المطوع، وصاحب البذل والعطاء نادر النوري، فرحم الله الجميع.

مجاهد منذ الصغر

عبد العزيز علي عبد الحفيظ الرنتيسي، ولد في ١٩٤٧/١٠/٢٣ في قرية يبنا الواقعة إلى الشرق من مدينة يافا، وقرب عسقلان في ١٩٤٧/١٠/٢٣ وبعد أقل من عام، طردت العصابات الصهيونية أسرته إلى قطاع غزة، واستقرت في مخيم خان يونس للاجئين وكان عمره وقتها ستة شهور ونشأ الرنتيسي بين تسعة إخوة وأختين، والتحق وهو في السادسة من عمره بمدرسة تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، واضطر للعمل أيضًا وهو في هذا العمر ليساهم في إعالة أسرته الكبيرة التي كانت تمر بظروف صعبة، وأنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٥.

ويتذكر الرنتيسي طفولته فيقول: «توفي والدي وأنا في نهاية المرحلة الإعدادية فاضطر أخي الأكبر للسفر إلى السعودية من أجل العمل».

ويردف: «كنت في ذلك الوقت أعد نفسي لدخول المرحلة الثانوية، فاشتريت حذاءً من الرابش– البالة– فلما أراد أخي السفر كان حافيًا، فقالت لي أمي: أعط حذاءك لأخيك

فأعطيته إياه، وعدت إلى البيت حافيًا، أما بالنسبة لحياتي في مرحلة الثانوية فلا أذكر كيف دبرت نفسي».

زار مرة واحدة قريته (يبنا) فوجد أسرة من اليهود تسكن بيته الذي ولد فيه، جاءت الوكالة اليهودية بها إلى قريته، وملكتها بيته وأرضه، وتجرع الشاب المرارات والحسرات، واختزنها في نفسه الثائرة، لتظهر بعد حين في حركة واعية منظمة تدرك رسالتها ووظيفتها في هذه الحياة.

ظل الرنتيسي يترعرع عامًا تلو الآخر وهو يرى دماء شعبه تروي شجر الزيتون وطرقات فلسطين، وتجرع الشاب المرارات والحسرات، واختزنها في نفسه الثائرة.

رحلة في مضمار العلم

كان عبد العزيز الرنتيسي من المتفوقين، وهو ما أهله للحصول على منحة دراسية في مصر على حساب وكالة غوث اللاجئين (أونروا) وهناك درس طب الأطفال في مصر لمدة ٩ سنوات وتخرج في كلية الطب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٢، ونال منها لاحقًا درجة الماجستير في طب الأطفال، ثم عمل طبيبًا مقيمًا في مستشفى ناصر– المركز الطبي الرئيسي في خان يونس– عام ١٩٧٦، وشغل عدة مواقع في العمل العام منها: عضوية هيئة إدارية في المجمع الإسلامي والجمعية الطبية العربية بقطاع غزة والهلال الأحمر الفلسطيني، وعمل في الجامعة الإسلامية في غزة منذ افتتاحها عام ١٩٧٨ محاضرًا يدرس مساقات في العلوم وعلم الوراثة وعلم الطفيليات.

تزوج الدكتور عبد العزيز من فتاة ملتزمة ولا تقل عن زوجها فاعلية ونشاطًا في الحركة الإسلامية، وله منها ستة أولاد، ذكران: محمد، وأحمد؛ وأربع بنات: إيناس، وسمر، وآسيا، وأسماء.

بين الصفوف المؤمنة

وعن بداية مشواره مع الحركة الإسلامية يقول الرنتيسي إنه تأثر أثناء دراسته بمصر كثيرًا بالشيخين محمود عيد وإبراهيم المحلاوي، وكانا يخطبان في مسجدي السلام وإبراهيم باشا في القاهرة، وكلاهما من رجال الإخوان المسلمين.

ولما عاد إلى غزة، كان يحمل في نفسه وقلبه وعقله تلك الأفكار الجريئة التي قادته إلى الحركة الإسلامية، ليصبح أحد أبرز رموزها، ليس في غزة أو فلسطين وحدها، بل على مستوى العالم، فقد غدا اسمه على ألسنة الناس التي انطلقت تتحدث عن آرائه ومواقفه.

وأضاف الرنتيسي: «كانت الخطب سياسية حماسية؛ فمحمود عيد كان يدعم القضية الفلسطينية، وكان يواجه السادات بعنف في ذلك الوقت؛ وهو ما ترك أثرًا في نفسي، فلما عدت من دراسة الماجستير بدأت أتحسس طريقي في الحركة الإسلامية مقتديًا بأسلوبه ونهجه»، موضحًا أن أول مواجهة له مع الاحتلال الإسرائيلي كانت عام ١٩٨١ حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية، ثم اعتقل على خلفية رفضه دفع الضرائب لسلطات الاحتلال.

من مؤسسي حماس

كان أحد قياديي حركة الإخوان المسلمين السبعة في قطاع غزة عندما وقعت حادثة المقطورة، تلك الحادثة التي صدمت فيها مقطورة صهيونية سيارة لعمال فلسطينيين، فقتلت وأصابت جميع من في السيارة، واعتبرت هذه الحادثة بأنها عمل متعمد بهدف القتل مما أثار الشارع الفلسطيني.

وقد خرجت على إثر حادثة السير المتعمدة هذه مسيرة عفوية غاضبة في (جباليا) أدت إلى سقوط شهيد وعدد من الجرحى، فاجتمع قادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة وعلى رأسهم الرنتيسي على إثر ذلك، وتدارسوا الأمر، واتخذوا قرارًا مهما يقضي بإشعال انتفاضة في قطاع غزة ضد الاحتلال الصهيوني.

وتم اتخاذ ذلك القرار التاريخي في ليلة التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، وتقرر الإعلان عن (حركة المقاومة الإسلامية) كعنوان للعمل الانتفاضي الذي يمثل الحركة الإسلامية في فلسطين، وصدر البيان الأول موقعا بـ (ح.م.س).

هذا البيان التاريخي الذي أعلن بداية الانتفاضة والذي كتب لها أن تغير وجه التاريخ، وبدأت الانتفاضة وانطلقت من المساجد، واستجاب الناس، وبدأ الشعب الفلسطيني مرحلة من أفضل مراحل جهاده.

ويقول الرنتيسي عن قصة إنشاء الحركة: «كنت مسئول منطقة خان يونس في حركة الإخوان المسلمين، وفي عام ١٩٨٧ قررنا المشاركة بفاعلية في الانتفاضة، وكنا سبعة: الشيخ أحمد ياسين، وعبد الفتاح دخان، ومحمد شمعة، وإبراهيم اليازوري، وصلاح شحادة، وعيسى النشار؛ وقد اخترنا اسما للعمل الحركي هو حركة المقاومة الإسلامية ثم جاء الاختصار إلى حماس».

في منتصف ليلة الجمعة الخامس عشر من يناير ١٩٨٨ أي بعد ٣٧ يومًا من اندلا ع الانتفاضة إذا بقوات كبيرة جدًا من جنود الاحتلال تحاصر منزل الرنتيسي وتعتقله إلا أنه أفرج عنه بعد فترة بسيطة، وبعد شهرٍ من الإفراج عنه تم اعتقاله بتاريخ ١٩٨٨/٣/٤ حيث ظلّ محتجزًا في سجون الاحتلال لمدة عامين و نصف حيث وجّهت له تهمة المشاركة في تأسيس و قيادة حماس وصياغة المنشور الأول للانتفاضة بينما لم يعترف في التحقيق بشيء من ذلك، ليطلق سراحه في ١٩٩٠/٩/٤، ثم عاود الاحتلال اعتقاله بعد مائة يومٍ فقط بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٤ حيث اعتقل إداريًا لمدة عامٍ كامل.

و في ١٩٩٢/١٢/١٧ أبعد مع ٤١٦ مجاهدًا من نشطاء و كوادر حركتي حماس و الجهاد الإسلامي إلى جنوب لبنان، فكان يعمل إلى ما بعد منتصف الليل، وإخوانه نائمون، فلم يكن ينام أكثر من ساعتين أو ثلاث فقط، وبعد عودته لغزة اعتقل أكثر من مرة من قبل السلطة الفلسطينية، كما جرت ضده العديد من محاولات الاغتيال والتي نجاه الله منها بأعجوبة، ففي ٢٠٠٣/٦/١٠م تعرض لمحاولة اغتيال، وفي شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٣م تعرض لمحاولة اغتيال ثانية فاشلة، كما تعرض لمحاولة اغتيال أخرى في اليوم الثالث لاستشهاد الشيخ أحمد ياسين، نجا منها بأعجوبة.

وتميز بالعديد من الصفات سواء كإعلامي ومتحدث لبق وكشاعر وكاتب، استطاع أن يصل بنبض القضية الفلسطينية إلى المجتمع الدولي مما أزعج الاحتلال منه.

وتحقق الحلم

كان الرنتيسي يحلم دائمًا بالشهادة والتي عبر عنها بقوله: «الموت آتٍ سواءً بالسكتة القلبية أو بالأباتشي وأنا أفضل الأباتشي».

وكان دائمًا يردد نشيد:

أن تدخلني ربي الجنة هذا أقصى ما أتمنّى

وقال لرفيقة دربه أم محمد: «إنها من أكثر الكلمات التي أحببتها في حياتي».

وبالفعل استجاب الله لنداء قلبه، فبعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، اختير الرنتيسي قائدًا لحركة حماس في غزة في ٢٠٠٤/٣/٢٣ فقد كان مجمعًا عليه، مما جعل الصهاينة يعجلون باغتياله في ١٧ أبريل ٢٠٠٤م الموافق ٢٧ صفر ١٤٢٥هـ عندما استهدفت سيارته في شارع الجلاء بمدينة غزة بثلاثة صواريخ، أدت إلى استشهاده واثنين من مرافقيه، وكان لوفاته صدًى عظيمًا في العالم وتحركت المظاهرات في معظم العواصم منددة باغتيال الرنتيسي.. وزف الشهيد إلى ما كان يحلم به.

المصادر

١- إياد محي الدين أمين: الاغتيالات السياسية في العصر الحديث، عربًا وعجمًا حسب الحروف الأبجدية، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، صـ٧١- ٧٤.

٢- حسن محمد أحمد، حسنى محمد أحمد: شهداء على بوابة الأقصى، ط١، مركز الاعلام العربي للأبحاث والمعلومات والنشر، ٢٠٠٧م، صـ٤٣.

٣- أحمد أبو فروة دوايمة: استشهاد الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في عيون أردنية، دار البيت العتيق الإسلامية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، صـ١٠٣ وما بعدها

٤- حسني أدهم جرار: شهيد الفجر وصقر فلسطين، إصدار صحيفة السبيل، عمان الأردن، ٢٠٠٤م، صـ ١٠٨.